ضياعنا عن الواجبات

يكثر في هذه الأيام الحديثُ عن طلب الحقوق والمطالبة بها، بينما يقلُّ الحديث عن الواجبات، والحديث عن الحقوق يعطي الإنسان فسحةً يُعلِّق فيها تقصيره على غيره، أما الحديث عن الواجبات فإنه يحاصر المتكلم، ويضعه أمام ما ينبغي عليه فعله، لذلك يَقِلُّ المتحمسون للحديث عن الواجبات، ويكثُر في المقابل المتحمسون للحديث عن الحقوق.

ولنستعرض نصًّا قرآنيًّا يعالج هذه القضية، ويُسقِط الحجج، ويُلغي المعاذير، ويُحفِّز هذا الإنسان المخاطَب ليقوم بواجبه مسقِطًا كل اعتبار، سواءٌ قصّر الآخرون أم لم يقصروا.

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ، وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ، أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ، وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ، وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤٧-٥٥].

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ أي يدَّعون الإيمان ويدّعون القيام بالواجبات.

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أيْ لا يظهر منهم بعد تلك الدعوى أيُّ قيام بالواجبات، إنما هي مجرَّدُ دعاوي.

﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ نقل قولهم ودعواهم أنهم أصحاب إيمانٍ وقيامٍ بالواجبات، ولما قعدوا عن الواجبات نفى عنهم اتصاف قلوبهم بالإيمان أيضًا، لأن الاتصاف بالإيمان ينتج قيامًا بالواجبات، وإذا لم يظهر القيام بالواجبات ينعكس على دعوى الإيمان.

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ وهنا يضع الله سبحانه وتعالى المخاطَبَ أمام بيانٍ واضح، فالواجبات ليست مفهومًا لا ضابط له، بل هي تابعةٌ ومحكومةٌ بقانونٍ ربانيٍّ منظِّمٍ للإنسان وسلوكِه ومعاملاتِه وعاداتِه... فإذا دُعُوا إلى هذا القانون المُنظِّم الذي من خلاله يتضح مفهوم الواجبات ومعناها تراهم يمتنعون عن قيامهم بالواجبات وفق هذا القانون.

﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ إنهم يحسنون المطالبة بالحقوق، ويقعدون عن الواجبات، فإذا رأوا حقًّا لهم أسرعوا متحمسين للمطالبة به، مع تقصيرهم بالواجبات، فتناقَضَ في سِيَرهم وحياتهم وسلوكهم طلبُهم للحقوق حالَ تقصيرهم في القيام بواجباتهم.

ثم قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ وهي صيغة سؤال، لكن المراد منها التقرير، أي: في قلوبهم مرض، وهو النفاق، لأن الحافز الإيماني معدوم، وإذا انعدم الحافز الإيماني في القلب فمن أين ستظهر الواجبات؟

ثم قال: ﴿أَمِ ارْتَابُوا﴾ أي: أم أن المشكلة تكمن في عدم ثقتهم بالقانون الرباني أصلاً الذي ينظِّمُ ويبين مفهوم واجباتهم؟

وكم يشكِّك المشكِّكون في هذا الوقت بالقانون الرَّبَّانيّ، ويريدون إدخالَه إلى المسجد وعزلَه عن الحياة، تأسِّيًا بما فعله الغربيون المادّيون.

والأمرُ في ديننا مختلف، فهو يتحدث في الاقتصاد حديثًا مفصَّلاً، ويتحدث في الاجتماع حديثًا مفصَّلاً، ويتحدث في السياسة الشرعية حديثًا مفصلاً، ويتحدث في علاقة الفرد بالفرد، وعلاقة الفرد بالجماعة، وعلاقة الجماعة بالجماعة، وعلاقة الأمة بغيرها، وعلاقة الموافِق بالموافِق، وعلاقة الموافِق بالمخالِف، وهكذا...

وعندما يقرؤون قانونًا وضعيًّا ينظرون إليه باحترام وتقدير، فإذا قدَّمتَ إليهم القانون الربانيَّ – بقطع النظر عن مصدره وبدراسةٍ قانونيةٍ مجرَّدة – أعرضوا وقالوا: لا تُدخلوا الدين في الحياة..

لا تدخلوه في الاقتصاد، ولا في السياسة، ولا في المجتمع...

فهم يجترُّون اجترارًا ما يقوله أولئك الماديُّون الذين لا يملكون قانونًا ربانيًّا أصلاً، فالتعاليم الواردة في المسيحية توجه الأخلاق فقط، ولا يوجد عندهم قانونٌ إلا إذا رجعوا إلى اليهودية التي فيها بعض القوانين المنظِّمة.

لكنَّ الله سبحانه وتعالى ختم الأديان بدين الإسلام الذي يتناسب مع الإنسان إلى قيام الساعة، في دينٍ مَرِنٍ عقلانيٍّ يخاطب الإنسان، ويتكيف بفضائله مع ظروف هذا الإنسان.

إنهم يثيرون الريب..

لكن يَثْبُتُ يومًا بعد يوم أن القوانين الوضعية التي جُرِّبت بأشكالها المتعددة الشرقية والغربية لم تفرز عدالة، ولا مساواة، ولا رُقيًّا حضاريًّا... ولا بد من زوال هذا الريب من خلال الحاجة التي تعيشها الإنسانية اليوم إلى العدالة والمساواة والقيم الفاضلة التي انعدمت حينما غاب هذا القانون.

ثم قال: ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ أيخافون من ظلم هذا القانون الرباني؟!

وأعجبُ ما نسمعُه قولُهم: إذا كنتم تريدون لهذا القانون الإسلاميِّ الربانيِّ اعتبارًا ووجودًا، فإنَّ مَن ينتمي لغير الإسلام يطالِب أيضًا بقانونه، ونحن نقول: نعم..

ومتى طُبِّقَ الإسلام على غير المسلم؟ ومتى تسلَّط الإسلام على غير المسلم؟

إنهم لا يدرسون الإسلام ولا يعرفونه، ثم هم بعد ذلك يتنطَّعون، لأنهم لا يريدون مبدأً يجعل الإنسان صاحب عدالة، بل يريدون لسياسة الأهواء ولشريعة الغاب، التي يتواطأ فيها الظالمون على الإنسان الضعيف والفقير، أن تنفذ في المجتمعات.

إذا كان غيرُ المسلم يملك تشريعًا ينظم سلوكه، فإن الإسلام يفسح المجال له لتطبيقه، فقد اتسع صدر الإسلام ليسع العالم كله.

فهل يخافون ظلم هذا القانون الذي أنزله الله ليحقق المساواة؟!

إن المسلمين عانوا من ظلم غيرهم عبر الأزمنة، فانظروا ماذا فعلت الحروب الصليبية، وماذا يفعل اليهود اليوم بمقدَّساتنا...؟

لكن هل سجّل التاريخ أن القانون الإسلاميَّ ظلم يهوديًّا، أو مسيحيًّا، أو وثنيًّا؟

لقد أبكى خليفةَ المسلمين سيدَنا عمرَ رضي الله عنه حالُ اليهوديِّ الذي كان يسأل الناس مالاً وقد كبر سنه ، فأعطاه من بيت مال المسلمين.

تلك هي حضارتنا..

نحن لا نظلمُ أحدًا، فثقافتنا ليس فيها ظلم، لكنَّ غيرَنا يبغي ويعتدي علينا.

ثم قال: ﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ فهم من يتبنى مبدأ الظلم أصلاً.

وقال بعدها: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ فالأمة الإسلامية تعترف بالقانون الربانيّ، وتقوم بالواجبات وفق هذا القانون.

وهكذا، بعد أن ذكر المتناقضين جاء بمنهج المتبني الذي يعترف بالقانون الربانيّ ويقرُّ بـــه، ثم يـــؤدي واجباته وفق هذا القانون.

ونتيجة ذلك: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي لهم الفلاح والفوز.

ثم قال: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ فبعد توصيف حال المؤمنين السابق أتبعه بذكر قاعدة وهي:

إذا اجتمع الإيمان مع القيام بالواجبات يحصل الفوز والفلاح.

فإذا اجتمع في الإنسان القيام بالواجبات ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، مـــع الإيمـــان ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ﴾ فهو متحقق بالخشية التي هي علامة الإيمان والمعرفة، عندها يحصل الفوز والفلاح ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

وبعد أن ذكر الفريقين: المتناقِض والمطبِّق، أتى بنموذجٍ مخادِع فقال:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾ فهم يَعِدون ويُسَوِّفون قائلين: إذا رأينا قانون الله يدعونا إلى القيام بالواجبات سنقوم بها.

واعذروني، فهذا هو حال أمتنا وحال أكثرنا، فكلٌّ منّا يُظهر استعداده قائلاً: ســـأفعل، سأضـــحّي، سأنفق، سوف أفعل كذا، سوف... وما يحسن أحدٌ من العالم استعمال كلمة (سوف) كما نحسنه نحن، **فنحن أصحابُ لغة (سوف).**

ثم قال: ﴿قُلْ لا تُقْسِمُوا﴾ فلا نحتاج لتأكيدٍ قوليّ.

﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ أي قوموا بواجبٍ واحدٍ هو خيرٌ من هذا الكلام والقَسَم وتلك الدعاوي، فنحن لا نريد تسويفًا ولا وعودًا ولا تأكيدًا ولا دغدغةَ مشـــاعر... لكننـــا نريـــد واجبًـــا واحـــدًا هـــو:

﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ أي قوموا بواجبٍ واحدٍ يقرُّ له قانونُ الله سبحانه، سواءٌ على مستوى العلم أو العمل أو أيِّ فعلٍ يدفع عجلة النهضة والحضارة...

كفى كلامًا.. كفى وعودًا.. ما الذي تفعله أيها المسلم؟

يكفي واجبٌ واحدٌ تستمرُّ وتثبت عليه، ولا يكون طارئًا أو عرضًا زائلاً، بل يكون ديدنًا لك، في العلمِ، أو العملِ، أو الخدمةِ، أو الأخلاقِ...

﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فلو ادَّعيتم أنكم تقومون بواجباتٍ كثيرة، فالله سبحانه مطَّلعٌ عليكم، ولن تستطيعوا مخادعة من يراكم.

ثم قال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أي قوموا بواجباتكم وفق القانون الذي حدَّده.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ أي لا ينبغي أن تنصرفوا عن واجباتكم بحجة تقصير غيركم، وبحجة تقصير الولاة ومن يؤثِّر فيكم حِسًّا أو معنىً.

أخرج البخاري في تاريخه عن وائل أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: **أرأيت إن كان علينا أمراءُ يعملون بغير طاعة الله تعالى**...؟ وهتا موضع الشاهد في واقعنا، لأننا نصرف أنفسنا عن القيام بواجباتنا في كلِّ المجتمعات الإسلامية بحجة الساسة والقادة، ولا نستطيع أن نفعل شيئًا، ولا أن نُكوِّن المجتمع الفاضل، ونعلِّق ذلك على مِشْجَبِ الساسة... **فقال صلى الله عليه وسلم:**

(عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ).

وأيُّ كلامٍ أبلغُ من هذا البيان في مخاطبة الشعوب؟ وهل يبقي هذا البيان حجة لمسلم؟

والسؤال يا أيها المسلمون: أين قيامكم بالواجبات؟

لا تدّعوا أنكم لا تستطيعون فعل الواجب بسبب وُلاتكم، وأمرائكم، وساستكم... فأين هو قيامكم بواجبٍ واحد؟

وهذا في لغة الحجة مُسكِتٌ.

ثم التفتَ إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم – الذين كان فيهم السلطانَ والإمامَ المطاع، وهذه خصوصية نادرة – فقال:

﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ لأنه مَلَكَ القانونَ، وهو خيرُ عادلٍ فيه، وخيرُ آمرٍ به.

ثم قال: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: ومع هذه الحالة النادرة – التي مُبلِّغُ القانون فيها هو السلطان – أنتم من يتحمَّل المسؤولية، وأنتم من هو مُكلَّفٌ أمام الله بالواجبات، لأن الرسول عليه البلاغ، والمسؤولية عليكم.

وهنا يَصرِف المسؤولية وهو يُحاجج، ليُظهر عورة المُعتذِر الذي يتعلل بالحُجج.

فإذا كان الأمراء لا يقومون بالطاعة فـ (عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ)، وإذا كانوا مَظهَرَ الطاعة فليس عليهم إلا البلاغ، لأنكم مسؤولون أمام الله عن القيام بواجباتكم.

ثم ختم سبحانه الآيات بقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ أي: بعد كل هذه المُقدِّمات، يُقرر ويقول: أنتم هو المُرشَّحُ الأقوى لاستلام المقاليد إذا اجتمع فيكم أمران: **الإيمان** و**القيام بالواجبات**.

أما نلاحظ كم يُكرِّر القاعدة ويُرغِّب فيها بأساليب متعددة؟!

ثم يختم بعد ذلك ويقول:

لن تكون ناجحًا في عملك فقط، ولا في أسرتك فقط.. بل سأعطيك مقاليد الأرض لتكون سلطانها، لكنني أطلب منك أمرين، ذكرتهما لك وأؤكد عليهما، هما: **الإيمان، والقيام بالواجبات**.

فإذا تركتم القيام بالواجبات وزعمتم أنكم أصحاب الإيمان، فقد انعدم أحد الشرطين وهو القيام بالواجبات، ولا يكفي لتكونوا مؤيّدين أن تقولوا: (آمنّا)، عندها سيترككم الحقُّ ولن يكون لكم التأييد الخاص، لسُنَّته في المادة التي قال فيها الشاعر:

وما نيلُ المطالب بالتمني ولكنْ تؤخذُ الدنيا غلابا

لقد حطَّم المسلمون بالإنسانية والعدالة وحشيةَ جمع الروم والفُرس وظُلمَه.

فهل كان هذا بتكافؤ العدد؟

لا.. بل بالتأييد.

ولو أنه سبحانه ترك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتوحات لسُنّة المادة من غير تأييد، لكانت القاعدة السابقة وحدها هي التي تُطبَّق، لكن حينما يجتمع في الإنسان قيامه بواجباته مع إيمانه، يأتي التأييد والإعانة ليقْلِب المعادلة.

وأكَّد قلب المعادلة بقوله: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي بالإعانة.

وأقربُ نموذجٍ لأمتنا هو تأييدُ الله سبحانه واستخلافُه لموسى عليه الصلاة والسلام، وهو موصوف في القرآن بقوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ، فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ، وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ، كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ، كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٢-٢٨]

فالاستخلافُ الأخير قبل استخلاف هذه الأمة، كان استخلافَ الله تعالى لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام.

فقوله: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي أنه سبحانه يقلب المعادلة.

وهل كان سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وقومُه وفق سُنن المادة قادرين على زلزلة مُلك فرعون؟

لا والله.. بل كانوا مُستضعفين، فقد كان يُذبِّح أبناءهم ويستحيي نساءهم، لكن اجتمع القيام بالواجب مع الإيمان.

ثم قال: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ فتظهر المبادئ الفاضلة التي كانت في القلوب على ساحة التطبيق، وعلى أرض الواقع.

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ فلا يخافون بعدها غَلَبة عدوٍّ ولا هيمنة مُتسلِّط، كما هو حالنا اليوم حينما لا نقوم بأي أمرٍ إلا بعد استئذان القوى المادية الظالمة.

ثم قال: ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ وهو القيام بالواجبات، ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ وهو الإيمان، وهو حالهم عند الاستخلاف.

﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فتعود الدورة من جديد، فتضيع من أيديهم المقاليد، ويتحكم بهم غيرهم.

والسؤال الكبير الذي ينبغي أن نسأل قلوبنا ونفوسنا به مرارًا وتكرارًا:

أين نحن من واجباتنا؟

أين نحن من واجبنا لأُسَرِنا، تأديبًا وتوجيهًا؟

وأين نحن من واجبنا الذي علينا أن نؤديه لأطفالنا في مجتمعاتنا، تهذيبًا وتعليمًا وتطويرًا؟

وأين نحن من واجبنا الذي علينا أن نؤديه لشبابنا، بناءً ودفعًا إلى حضارة متميزة؟

وأين نحن من واجبنا الذي علينا أن نؤديه لفتياتنا، ليكنَّ فاعلاتٍ وقائماتٍ بدورهنَّ الإنساني؟

صودِرَت الفتاة وضُيِّعت باسم المطالَبَة بالحقوق، وصُرِفت عن الواجبات، فلم تعد تسأل عن واجباتها، بل صارت تسأل عن حقوقها.

إنها لعبة قذرة..

أين نحن من واجبنا الذي علينا أن نؤديه لفقرائنا، لنصون ماء وجههم، ونُلغي بطالتهم، ونؤمِّن لهم العيش الكريم والرعاية، وما يلزمهم من المستلزمات الصحية والاجتماعية والتعليمية؟

وأين نحن من واجبنا الذي علينا أن نؤديه لمقدّساتنا، التي يتلاعب بها أعداؤنا ليلَ نهار؟

واليوم يشغلون الشباب بلَعِب الأطفال، واذهب إلى الدوحة أو الكويت أو الإمارات.. لترى القوات الأمريكية على بُعد أمتار، وتُقام المباريات الرياضية في الستادات الكُبرى التي يُصفِّقون فيها للكرة إذا لامست شباك المرمى..

وكلما اقترب العدوُّ منا، نُحْدِثُ ملاعبَ أكثر..

وكلما عِشنا في الخَطَر، كثُرَت المخدِّرات التي تُخدِّر الشعور، وكَثُر الإشغالُ عن الواجبات..

وكم أحزن كلما مررتُ يومَ الجمعة – وشبابٌ كالورد يقتتلون على الدخول إلى الملاعب – فأقف وأنظر في وجوههم وأقول: هل عَرَف واحدٌ منهم واجباته يا ترى؟

نعطي مساحةً كبيرة للحديث عن الرياضة، وأصبح هناك الكثير من النَّشرات: رياضية، واقتصادية، وجوية... لكنْ ليس هناك نشرة تعليمية أو واجباتية.

لماذا نترك الناس يشتغلون بواجباتهم..!

وكم يساوي ما يتقاضاه أستاذٌ مُحاضِرٌ جامعيٌّ يُقدِّم توجيهًا عِلميًّا في ساعة من البحوث العِلمية المُفصَّلة، إذا ما قورن مع ما تتقاضاه مُغنِّيةٌ أو راقصةٌ تعرض جسدها في ساعة أيضًا؟!

فهل فهمنا وعرفنا كم ضُيِّعنا عن واجباتنا؟

لا تقولوا يا شباب: ماذا نفعل؟

افعلوا واجبًا واحدًا، وعندها نخطو إلى طريق صوابنا وصحتنا وحضارتنا ونهضتنا... لكن بشرط أن تواظبوا على هذا الواجب الواحد.

رُدَّنا اللهم إلى دِينك رَدًّا جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.